

الخبرات المُختلقة هو دليلٌ حقيقيٌّ على ذلك. وهكذا، فإنّ التفاهة تقود الفرد والجميع لتسليم ملكة الحكم السليم إلى نماذج تحكّمية وإلى سلطات موهومة أو متخيلة. والعوارض عادةً هي: أن هذا الضرب من السياسة يحمل البعض على أن يحكون رؤسهم ويعبثون بنظاراتهم، مثلما رأوا في الأفلام، كما هو الحال عندما يطلب استاذًا جامعيًا من أحد طلبته أن يحرك قسمًا من رسالته الدكتوراه من "الفصل الثالث إلى الفصل الثاني"، في محاولة منه لتبرير سلطته، أو مثلما يفعل منتجٌ ما عندما يصرُّ على طريقة معينة لطباعة العناوين والكادرات في الفيلم، رغم أن لا علاقة له أو لها بالأمر، أو عندما يصيح اختصاصيُّ ما بشأن النمو الاقتصادي فقط حتى يموضع نفسه أو تموضع نفسها بداخل وجهة النظر المنطقيّة.

إن البعض سوف يصيبهم الحزن الحقيقي عندما يرون هذه المساعي الحيثية وهي تمحو بعضًا من أفضل العناصر الاجتماعية والثقافية والعلمية للحياة، إن ذلك يتم مع نظرة ذليلة تبدو وكأنها تقول: أنا نفسي أؤمن بما تفعل، ولكن من المؤسف أن الجماعة المضحكة – التي ترى نفسها وفق ما يراها الآخرين – لا تفكر مثلي. لا يتطلب تدريب الجسد الحيوية فقط للحفاظ على التفاهة، إنه يتطلب أيضًا سيطرةً نفسيةً على هيئة تدريب للأفكار يقول زونوفيف: "إن التظاهر بالعمل لا يعني سوى الرضاء بالتظاهر بروية النتائج. وأكثر تحديدًا، هو يمثل فرصةً لتبرير الوقت المقتضى؛ فالتحقق من النتائج وتقييمها إنما يتم من قبل أشخاص متورّطين في هذا التظاهر، مرتبطين به، وذوي مصلحةٍ في استمراره".

إن من يحتفظون بهذه السلطة فيتشبثون بها يُظهرون ذات الإيسامة النمطيّة، وهم راضون بترداد عبارات عامةٍ مثل "عليك أن تلعب اللعبة"، بعبارةٍ أخرى، أن تلعب وفق القواعد الرسمية برضى، وأن تعمل لإنجاح التواطؤات العديدة التي تقسد مصداقية العملية، مع ممارسة التظاهر وخداع النفس بشكلٍ متزامن. علينا أن نتظاهر بالخضوع للعبةٍ أعظم من أنفسنا، فيما نحن في الحقيقة نوسع من نطاق قواعدنا طوال الوقت، أو أن نخترع قواعد جديدة حسب الحاجة.

بطبيعة الحال، فقد تم نصب "الخبير" كمثالٍ مركزيٍ للتفاهة. إن تفكيره لم يكن خاصً به قط، وإنما تفكيرٌ يميله منطقٌ يتجسد فيه ويُقاد من خلال اعتباراتٍ أيديولوجية. إن الخبير يعمل لتحويل المقترحات إلى أشياءٍ معرفية، تبدو نقيّة من الظاهر، وهذا ما يميّز وظيفته. لهذا السبب، فلا يمكننا أن نتوقع منه أن يقدم لنا مقترحًا قويًا أو أصيلًا، وهذا ما يأخذه أدوارد

ما هو جوهر كفاءة التفاهة؟ إنه القدرة على التعرّف على تفاهة أخرى. معًا، هي تدعم بعضها، فتحدب على الجماعة التي تنميها، لأن الطيور على أشكالها تقع. أن ما يهم لا يتعلق بتجنّب الغباء الذي يحيط يتصوّنا بالسلطة، فالتفاهة ليست مسألة انعدام صرفٍ للكفاءة، فنحن لا نريد أشخاصًا غير مهرة، إذ ينبغي أن يكون المرء قادرًا على تشغيل آلة التصوير، أن يفهم محتوى استمارة ما، فيملأها من دون شكوى وأن يقول مرحبًا في الآن ذاته.

سعيد عليه في محاضرات Reith Lectures التي انتجتها قناة الـ BBC عام 1993. فالخبير – هذا السوفسطائي المعاصر الذي يُدفع له لكي يفكر بطريقة معينة – لا يستتير بأي نمط من فضوليّة الهواة. بعبارةٍ أخرى، هو ليس مهتمًا بما يتحدّث عنه، بل يتصرّف ضمن إطارٍ وظيفيٍّ بحت. "إن أكبر خطرٍ يتهدّد مثقف اليوم – في الغرب كما في بقية أنحاء العالم – ليس الجامعة، ولا تطوّر الأحياء المحيطة بالمدينة، ولا التسليع الشنيع للصحافة والنشر، وإنما موقفٌ عامٌّ شاملٌ أنا أسميه بالمهنية".

هذه الأيام، صارت المهنة بعيدةً كليًا عن الحرفة كما تُفهم بالمعنى الفيبري. لقد صارت تُقدّم اجتماعيًا وكأنها اتفاقٌ ضمنيٌّ بين مستودعات المعرفة من جهة وبين القوى المهنيّة من جهةٍ أخرى. في ظلّ هذا العقد، فإن الفئة الأولى تقوم بتزويد الثانية بالمعلومات العلميّة أو النظرية المطلوبة للعمل ولإضفاء الشرعية، وذلك من دون بذل أي مجهودٍ أو أي التزامٍ روحيّ. إن أدوارد سعيد يتعرف بداخل الخبير دائمًا على السمات التافهة التي تجعله – "يتبع المعطيات" مثلما "تستدعي الحاجة" – فيطبق القواعد السليمة للسلوك، من دون أيّ خلافٍ أو فضيحة، ودائمًا ضمن نطاق الحدود المقرّرة، في ذات الوقت الذي يبدو فيه "حيًا" وصالحًا للظهور، غير سياسيٍّ، متحفّظ، و"موضوعيٍّ". وهكذا، يصبح التافه إنسانًا عاديًا غرضه هو السلطة، وهدفه هو نقل أوامره وتطبيقها بجدافيرها.

إن هذه الحقيقة المترتبة عن هكذا موقف تجعل من الرأي العام والفكر الجماعيّ من دون رائدٍ للتفكير. ومن المهم أن نتأمل كيف أنه – في أهم مناطق السلطة كالسياسة والقانون والاقتصاد والإدارة العامة

والصحافة والبحث – سادت تعابير مثل "المقاربة المتوازنة"، "الوسط السعيد"، "المرونة" أو "المعتاد" – وهي التي كان يُنظر إليها بنظرة ازدراء في السابق، فظهرت إلى الواجهة الآن وفرضت نفسها كإطارٍ للمرجعيّة الأخلاقية. أن مجرد تخيلٍ آراءٍ ومواقفٍ تحيد عن "الوسط" هو أمرٌ يتم تجنّبه.

ويتم تحييد العقل (الروح) من خلال جملةٍ من الكلمات الوسطيّة، بما في ذلك الحوكمة (governance)، وهي إحدى أهم الكلمات الدارجة هذه الأيام. فتحت رعاية التفاهة، يشنق الشعراء أنفسهم، يُجنّ العلماء ذوي الشغف، ويهيم المهندسون الصناعيون في التنبؤات، فيما الأفكار السياسيّة الكبرى تناجي أنفسها في أقيبة الكنائس. إن هذا النظام الوسطي المتطرّف قاسٍ ومميت، ومع ذلك، فإن تطرفه الذي يظهره هذا يُخفي نفسه تحت صورة "الطريق الوسط"، فيحملنا على أن ننسى أن التطرّف لا يُعني بحدود الطيف السياسيّ للسياس واليمين بقدر ما يُعني بكل لا ينتمي له: فلا حق لهم بالتعليق على هذا النمط المسخ، الرماديّ، الذي يغيب فيه التفكير والذي يُفترض إعادة إنتاجه. سوف نكسو كل هذه الأخطاء بكلماتٍ وجملٍ فارغة. أسوأ من ذلك، فإن النظام سوف يستخدم ذات التعابير التي تقضح مخاوفه: الابتكار، التعاون، الاستحقاق، والالتزام.

أن المفكرين الأحرار الذين لا يشاركون في هذا الدجل وهذه الخديعة سوف يتم نبذهم، وهذا – بطبيعة الحال – يتم بطريقةٍ مبتدلةٍ تقوم على الإنكار، الخيانة، والرفض، وهو عنفٌ رمزيٌّ يوضع قيد الاختبار. إن لفظ التفاهة (médiocratie) كان يستخدم في السابق للتعبير عن قوّة الطبقة الوسطى، ولكنه فقد معناه الأصلي، فما عدنا نستطيع تعيينه كشرطٍ لتسيّد التافه، وإنما أصبح يميل أكثر لأن يعني علاقات السيطرة التي تمارسها الشروط التافهة ذاتها. يمكننا تصنيفه كشكلٍ من أشكال العُملة للمعنى (تبادل المعنى) وأحيانًا كمفتاحٍ للنجاة، إلى الحدّ الذي يدفع من يطمحون لتعديل أوضاعهم إلى الامتثال لمتطلباته.

Alain Deneault is author of critical essays. His latest book is La médiocratie. Note: This column appeared in Freedom, No. 306 served as a test base The Mediocrity, published by Lux Editor. Translated by Mich Imhoff Arsenalault (Skybridge Translation) By Skybridge Translationin Chris Hedges. French to English Translation. Philosophy. Skybridge Translation. Translation of Social Sciences (Fr-En) March 21. 2017March 24. 20172.069 WordsLeave a comment



فرجينيا وولف وحرقة الكتابة

بيير أسولين



ترجمة: عزيز الصاميدي

المغرب

بملاحظات نقدية من شأنها أن تثير الطريق أمامهم. ولا شك أن هؤلاء المبتدئين من الكتاب في مسيس الحاجة لمن يبدد حيرتهم ويمنحهم بعض الثقة، لكنهم لا يتخيلون – ولولولحظة – أن الكاتب المحترف يكرس لهذا العمل يومين أو ثلاثة. وحين يتعلق الأمر بعدة مخطوطات في الشهر نفسه، فلا مانع من تحويل نشاط المراجعة هذا إلى نشاط مهني. وربما هذا ما يلمح إليه السؤال الآتي لفرجينيا وولف: "من ذا الذي سيتردد في رهن إبريق الشاي الخاص بعائلته مقابل قضاء ساعة من النقاش حول الشعر برفقة كيتس (Keats) أو حول الرواية مع جين أوستن (Jane Austen)"¹. علينا إذن ألا نتخدر، لأننا عندما نقرأ لبعض الكتاب أو عندما نراهم أو نستمع إلى حديثهم، نتيقن أننا وإن كنا في الواقع نمتهن نفس المهنة فنحن في الحقيقة لا نمارس الحرفة ذاتها.

الهوامش

1-PROFESSION ? ECRIVAIN. Giséle Sapiro et Cécile Rabot (dir.). CNRS Ed., 360 p.
2-LES LIVRES TIENNET TOUS SEULS SUR LEURS PIEDS. Virginia Woolf, traduit de l'anglais par Micha Venaille. Ed. Les Belles Lettres. 220 p.

مصدر الترجمة:

2017Le Magazine Littéraire. N° 584/Octobre

العنوان الأصلي للمقال:

Virginia Woolf et le métier d'écrire

كبيرة في فرنسا وعبر المعمور وأن يتحدث إلى الكاميرات والميكروفونات. على الكاتب أن يكرس نفسه بقصد بذلك أن يظهر الكاتب مع ظهور كتابه، وإذا كانت هذه الممارسة قد تزايدت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، فهذا لا يعني أنها حديثة. كل ما وقع أنها تقننت لتقادي استغلال الكاتب كما كان يحدث في السابق، لأن هذا الأخير حين يحضر وجها لوجه أمام القراء ليجيب عن أسئلتهم، ويستقل القطار في اليوم الموالي ليعيد الكرة في مكان آخر، فهذا يعني أنه يتوقف عن فعل الكتابة الذي يشكل مصدر رزقه.

حينما عُرض على فرجينيا وولف أن تقوم بالترويج لكتبتها أجابت بعبارة تمكس روحها الثائرة، وهي عبارة استعملت عنوانًا لكتاب جديد يضم مجموعة مقالات للكاتبة نفسها: "لا تحتاج الكتب لمن يساعدها في الوقوف على أرجلها"². ولا يتعلق الأمر هنا بمجرد عنوان، فلطالما اعتقدت وولف بأن الكاتب غير ملزم بالدفاع عن كتابه، وأن بمقدور هذا الأخير أن يدافع عن نفسه في المكتبة باستعمال أسلحته الذاتية. نجد في نهاية هذا الكتاب نصًا مؤرخًا بسنة 1939 يتناول مسألة العلاقة بين الكاتب والناقد. ويمكننا إذا ما مددنا هذا النص قليلاً أن نلمح ظهور نشاط جديد من الأنشطة ذات الصلة بالكتابة لم تقم سايبرو ورايو بإدراجه في تحقيقهما. يتعلق الأمر بالاستشارة الأدبية. إذ إن المبتدئين من الكتاب دائمًا ما يطلبون – في محاولاتهم الأولى – رأي كُتاب محترفين. وغالبًا ما يبعثون مخطوطاتهم عبر البريد العادي أو الإلكتروني مثلما يمكن أن يُلقوا بقارورة في البحر، طالبين من الكتاب منحهم شرف قراءة المخطوط ومدهم

لا يختلف الكاتب في عيشه عن باقي البشر، فهو يأكل ويشرب وينام ويدفع فاتورة الكراء وفواتير الماء والكهرباء. وهو إلى ذلك يعاني من الانزلاق الغضروفي ومن تبخر راتبه في الأيام الأولى من الشهر مثلما نعاني جميعًا من كل ذلك وربما أكثر. قد يبدو ذلك أمرًا عاديًا. إلا أن الكثيرين ممن يعملون على خروج الكاتب لاستعراض سعته الفكرية أمام جمهور القراء يعتقدون بأنه كائن يقتات على الماء والهواء فقط، وبعيدًا عن التصور الرومانسي الذي يتخيل الكاتب وهو يضيء أوراقه بضوء الشموع، يوجد اعتقاد في فرنسا – أكثر من غيرها – بأن الكاتب "مبدع لم يخلق" مثلما توصف بذلك بعض الكتب المقدسة. فهذه العبارة التي تعود لببير بورديو (وهو أكثر كاتب يستشهد به في هذا الموضوع) تستعملها كثيرًا عالمنا الاجتماع جيزيل سايبرو (Gisèle SAPIRO) وسيسيل رابو (Cécile Rabot) اللتان نسقتا لإنجاز كتاب جماعي يحمل عنوان (هل تعد الكتابة مهنة؟)¹.

إلا أن استعمالهما لهذه الجملة لا يروم تكريسها بل استنكارها. فقد اعتمدت الباحثتان وثائق عديدة لإنجاز بانوراما معمقة قادتهما إلى حقيقتين متناقضتين: إذ كلما ازداد نشاط الكاتب حرفية، أصبحت وضعيته أكثر هشاشة. لا سيما مع تزايد الأنشطة ذات الصلة بالكتابة والتي يفترض أنها تؤمن للكاتب دخلًا إضافيًا (إقامات الكتابة، تشييط بعض الندوات، حصص القراءة أمام القراء، ورشات الكتابة، المنح...)

يتوجب على الكاتب إذن أن يضعف على نفسه، أن يغادر بيته ليرافق كتابه أمام جمهور القراء في أماكن متعددة، أن يعلم هؤلاء شيئًا من فنه وأن يشرح ما لم يكن مطالبًا بشرحه من قبل، أن يظهر أمام الناس، أن يقطع مسافات

